الجامعة الإسلامية بمينسوتا
Islamic University of Minnesota
الفرع الرئيس

شرح الفتوى الحموية لشيخ الإسلام ابن تيمية

د. أبوبكر الصديق عمر الفاروق القاضي

باحث دكتوراة السنة النبوية

abobakrelkady AboBakr Elkady
www.abobakrelkady.net KonnashatElkady

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

بسم الله، والصلاة والسلام على رسول الله -صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم- ثمّ أما بعد:
فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور مُحدثاتها، وكل مُحدثةٍ بدعة، وكل بدعةٍ ضلالة، وكل ضلالةٍ في النار، ثمّ أما بعد: -

❖ فهذا هو (المجلس الثاني) من شرح " الفتوى الحموية" لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى.

وقد افتتحنا الكلام في هذه الفتوى، وبينا فيه قيمة وحجية مذهب السلف، وأن السلفية ليست فقط مرحلة زمنية مباركة، وإنما هي أيضًا في الحقيقة مذهب ملزم لكل مسلم في اتباع كلام الله وكلام رسوله بفهم السلف الصالح.

وقد بلغنا إلى قول المؤلف في رده: على أن طريقة السلف أسلم، وطريقة الخلف أعلم وأحكم، وأن هذا الأمر لا يجوز أن يقال.

قال: "ولا يجوز أيضًا أن يكون الخالفون أعلم من السالفين، كما قد يقوله بعض الأغبياء ممن لم يقدر قدر السلف، بل ولا عرف الله ورسوله والمؤمنين به حقيقة المعرفة المأمور بها من أن طريقة السلف أسلم، وطريقة الخلف أعلم وأحكم".

- هذا هو قول بعض الأغبياء، هذا الذي سيرد عليه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى.

والأصل في هذا: أنهم يزعمون أن طريقة السلف هي التفويض في أمر الصفات -تفويض الكيف والمعنى- وهذا باطل، بل طريقة السلف هي تفويض الكيف مع إثبات المعاني اللائقة بالله عز وجل.

ويزعمون أن طريقة الخلف -وهي التأويل- هي أعلم وأحكم؛ لأن ظواهر القرآن والسنة تفيد التشبيه، وعلى قولهم تفيد الكفء، فلا بد من تأويلها -التأويل المذموم- وهو صرف اللفظ عن ظاهره إلى معنى محتمل مرجوح بغير دليل، وهو في الحقيقة التحريف المعنوي.
وهذا كلام باطل، فليس عندهم -أي الخلف- علم، بل هو في الحقيقة شبهات الفلاسفة، وعلم الكلام الذي ليس من العلم في شيء، وليس العلم الذي جاء به الرسول ﷺ.

ولا يلزم طالب العلم -طالب الحق- أن يتعلم المنطق ولا الفلسفة ولا علم الكلام ليفهم كلام الله ورسوله؛ بل طريقة السلف التي زكاها القرآن.

- قال تعالى: {فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَواۖ وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُۚ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} [البقرة:١٣٧]

{وَّإِن تَوَلَّوْاْ}: أي أعرضوا عن هذا الفهم وهذه الطريقة.
{فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ}: ويزدادون في الشقاق والخلاف والنزاع كلما إزداد الإعراض عن فهم السلف.

قال: "وإن كانت هذه العبارة إذا صدرت من بعض العلماء قد يعني بها معنى صحيحًا، فإن هؤلاء المبتدعين الذين يفضلون طريقة الخلف من المتفلسفة، ومن حذى حذوهم على طريقة السلف -يفضلون طريقة الخلف على طريقة السلف- إنما أوتوا من حيث ظنوا.
أن طريقة السلف هي مجرد الإيمان بألفاظ القرآن والحديث من غير فقه؛ لذلك بمنزلة الأميين الذين قال الله فيهم:

- {وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ} [البقرة: ٧٨]

{وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ}: أي إلا تلاوة ظاهرة للألفاظ دون فهم المعاني.
{وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ}: وظنوا أن طريقة الخلف هي استخراج معاني النصوص المصروفة عن حقائقها بأنواع المجازات -كما ذكرنا- التأويل المذموم وغرائب اللغات.

فهذا الظن الفاسد أوجب تلك المقالة التي مضمونها نبذ الإسلام وراء الظهر، ظنه الفاسد أن السلف كانوا أميين يمرون الألفاظ من غير فهم؛ فيفوضون التفويض الكامل -معنى وكيف- كأنها مجرد حروف على زعمهم.
وأن طريقة الخلف على زعمهم هي الصحيحة، وهي استخراج معاني النصوص المصروفة عن حقائقها بأنواع المجازات وغرائب اللغات التي هي التأويل المذموم؛ فيُؤَوِّلون القدم في قوله ﷺ حتى يضع فيها رب العزة تبارك وتعالى قدمه!

فتقول: "قط قط، وعزتك هذا تقوله جهنم، فيُؤَوِّلون القدم هنا بمعنى بمن قدمهم الله فيها، أو أنها قدم بعض الكفار، أو قدم إبليس.
ولم ينقل عن السلف شيء من هذه التأويلات، بل نثبت لله عز وجل قدمًا لائقة به تبارك وتعالى، ليس كقدم المخلوقين وانتهى الإشكال.

- إذن السلف ليس مذهبهم التفويض للكيف والمعنى، وإنما مذهبهم تفويض الكيف مع إثبات المعاني اللائقة بالله عز وجل.

نؤمن بكل ما وصف الله به نفسه، ووصفه به رسوله ﷺ من غير تحريف ولا تأويل، ولا تكييف، ولا تمثيل ولا تشبيه ولا تعطيل.

- {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} [الشورى:١١].

قال: "هذا الظن الفاسد أوجب تلك المقالة التي مضمونها نبذ الإسلام وراء الظهر -كما ذكرنا- هو إعراض عن فهم السلف للكتاب والسنة الذي أمرنا أن نتبعه خير الناس.

- قال ﷺ: "خَيْرُكُمْ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ" [صحيح البخاري].
- قال تعالى: {فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوا} [البقرة:١٣٧].
- قال تعالى: {وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ} [التوبة:١٠٠].
- قال ﷺ: " فعليكم بسنتي وسنةِ الخلفاءِ المهديّين الراشدين تمسّكوا بها، وعَضّوا عليها بالنواجذِ، وإياكم ومحدثاتِ الأمورِ فإنَّ كلَّ محدثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بدعةٍ ضلالةٌ" [صحيح أبي داود].
- قال ﷺ: "إنَّ بني إسرائيلَ تفرَّقَتْ على ثنتينِ وسبعينَ مِلَّةً، وتَفْتَرِقُ أُمَّتي على ثلاثٍ وسبعينَ ملَّةً، كلُّهم في النارِ إلَّا مِلَّةً واحدَةً، ما أنا عليه و أصحابي" [صحيح الجامع].

قال: "وقد كذبوا على طريقة السلف، وليست هذه حقيقة طريقة السلف -كما ذكرنا- ليست تفويض الكامل، وضلوا في تصويب طريقة الخلف، فجمعوا بين الجهل بطريقة السلف في الكذب عليهم، وبين الجهل والضلال بتصويب طريقة الخلف.

وسبب ذلك: اعتقادهم أنه ليس في نفس الأمر صفة دلت عليها هذه النصوص بالشبهات الفاسدة التي شاركوا فيها إخوانهم من الكافرين، لما اعتقدوا الاعتقاد الفاسد تعاملوا مع النصوص التي لا بد لها من معان بالتأويل المذموم؛ فحرفوا طريقة السلف ونسبوهم إلى تفويض معانيها.

وهذا كذب على السلف -كما ذكرنا، فحرفوا كلام السلف وصوبوا كلام الخلف بتأويل النصوص؛ لأن عقيدتهم فاسدة كعقيدة إخوانهم من الكفار.

وقوله -قول شيخ الإسلام-: "إخوانهم" لا تعني كفرهم، بل المقصود بذلك -إخوانهم-: أي شركاؤهم في الطريقة، شابهوهم في الطريقة، ولا يستلزم ذلك تكفير الأعيان.

✔ قال: "فلما اعتقدوا انتفاء الصفات في نفس الأمر، وكان مع ذلك لا بد للنصوص من معنى، بقوا مترددين بين الإيمان باللفظ وتفويض المعنى، وهي التي يسمونها طريقة السلف".

فيكون إيمان باللفظ، يثبتون اللفظ وتفويض المعنى، ويسمون هذا طريقة السلف.
طبعًا المعنى والكيف، وبين صرف اللفظ إلى معان بنوع تكلف، لأنه يقول: أن لله يد، فيثبتها كأيادي المخلوقين.
إذًا أنت بهذا تفكر في الكيف -في الحقيقة-، أنت بهذا لا تثبت معاني لائقة بالله فقط وتفوض الكيف إلى الله، بل أنت تفكر في الكيف، فتفكيرك في التكييف الباطل هذا جعلك تنفي أصل الصفة وتؤولها إلى معنى آخر: كالنعمة كالرحمة.

✔ قال: "وبين صرف اللفظ إلى معان بنوع تكلف، وهي التي يسمونها طريقة الخلف، فصار هذا الباطل مركبًا من فساد العقل، والكفر بالسمع. فإن النفي إنما اعتمدوا فيه على أمور عقلية ظنوها بينات وهي شبهات".

يقول لك: لا نثبت لله الكلام، لماذا؟

- لأني إذا أثبت لله الكلام؛ أثبت له جارحة.

ماذا يعني أثبت له جارحة؟

- يعني لسان، وصوت، ومخارج.

استغفر الله! فنحن نثبت كلامًا بحرف وصوت، ولكن هو يقول: نثبت له الجارحة التي يخرج بها الكلام !

لا وإنما تلك الجارحة في طريقة المخلوق أو في هيئة المخلوق، ولا يلزم من إثبات الكلام لله أن تتكلم في الكيفية أصلًا، بل نثبت لله كلامًا يليق به تبارك وتعالى بحرف وصوت يسمعه من قرب كمن بعد، ومع ذلك: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} [الشورى:١١].

"فصار هذا الباطل مركباً من فساد العقل والكفر بالسمع".

فساد العقل: حين قدموا العقل على النقل، فلا طالوا العقل ولا طالوا النقل؛ لأن هذا عقل فاسد في الحقيقة مشبع بالهوى، وعلم والفلسفة والمنطق، ومتفاوت جدًا فلا يصح أن يكون معيارًا.

فتجد حتى الأشاعرة والماتريدية مضطربون متناقضون في إثبات أمور بالعقل تارة، وترك العقل والاستدلال به تارة في أمور الغيب.

فهم مثلًا يجعلون العقل حاكمًا على آيات الصفات، وفي نفس الوقت يقولون لا دخل للعقل في آيات الآخرة وعرصات الآخرة وأهوال الآخرة، والجنة والنار، ولكن هذا غيب وهذا غيب، فما الفرق؟ فأنت تقول هنا: "لا نقدم النقل"، ففي أمر الآخرة يقدم النقل، وفي أمر الصفات يقدم العقل، إذًا ما الفرق؟ الاثنان غيب!

الجنة أعد الله فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، فإن كان لم يخطر على قلب بشر كيفية الجنة وكيفية ما فيها، وما فيها من الدنيا إلا الأسماء، إذًا فهي مشتركات لفظية: نخل ورمان وغير ذلك، ولكن الكيفية مختلفة تمامًا.

إن كان هذا مخلوق مع مخلوق، دنيا مع آخرة، فما بالك بصفات الخالق وصفات المخلوق؟! فكما أن ذات الخالق لا تشابه ذوات المخلوقين، كذلك صفات الخالق لا تشابه صفات المخلوقين وإن اشتركت في بعض المشتركات اللفظية بينهم.

يعني الله له حياة والإنسان له حياة، لكن حياة الإنسان ناقصة محدودة فانية، وحياة الله باقية دائمة لا يعتريها نقص سنة، غفلة، لون ،موت تبارك وتعالى قيوم عز وجل.

حياته ليست كحياتنا مع وجود المشترك اللفظي -حياة وحياة-.

أي هذه حياة وتلك حياة، ولكن حياته ليست كحياتي؛ إذًا يده ليست كيدي، وساقه ليست كساقي، وأصابعه ليست كأصابعي، وإتيانه ليس كإتياني، ونزوله ليس كنزولي، وساعده ليس كساعدي، وقدمه ليس كقدمي، وكلامه ليس ككلامي.

- فبذلك انتهت القضية ولا توجد أزمة أصلًا؛ ولذلك لا صراع أصلًا بين العقل والنقل، بل العقل الصريح يوافق النقل الصحيح.

قال: "فصار هذا الباطل مركباً من فساد العقل والكفر بالسمع؛ فإن النفي إنما اعتمدوا فيه على أمور عقلية ظنوها بينات".

- ولا بينات إلا من الكتاب والسنة -في الحقيقة- من نص أو إجماع قديم، أو قياس جلي دل عليه القرآن والسنة.

قال: "وهي شبهات، والسمع حرفوا فيه الكلام عن مواضعه".

- السمع هو الآيات والأحاديث.

فالآيات أولوها ، والأحاديث المتواترة أولوها، وأحاديث الآحاد ردوها.

قال: "فلما ابتنى أمرهم على هاتين المقدمتين الكفريتين -الكاذبتين-".

المقدمة الأولى: أن الشبهات ظنوها بينات.

والمقدمة الثانية: أن السمع لا بد أن يحرف عن مواضعه؛ لأن ظاهر السمع التشبيه، ظاهر السمع الكفر.

- انظر إلى الزعم!

فربنا خاطبنا بقرآن ظاهره التشبيه -ظاهره تشبيه الله بخلقه-، ظاهره الكفر بالله تبارك وتعالى، وسمى القرآن مبينًا، وبينات، وشفاء، ونور، وهدى، ورحمة، وروح.

- عجب! وكلامهم هو الذي يوضح تلك الإشكاليات!

نسأل الله العفو والعافية.

قال: "فلما ابتنى أمرهم على هاتين المقدمتين الكفريتين الكاذبتين، كانت النتيجة: استجهال السابقين الأولين -الذين زكاهم القرآن-".

انظر لمضادة القرآن واستبلاههم، الذين تقول عليهم بله: أي من الحماقة والسذاجة.

والأبله: هو الذي لا عقل له.

"واستجهال السابقين الأولين -نسبتهم إلى الجهل، واعتقاد أنهم كانوا قومًا أميين، بمنزلة الصالحين من العامة، لم يتبحروا في حقائق العلم بالله، ولم يتفطنوا لدقائق العلم الإلهي، وأن الخلف الفضلاء حازوا قصب السبق في هذا كله".

- الخلف الذين جاءوا من بعد القرون الخيرية، فهم الذين حازوا قصب السبق، والسلف أناس غلابة، ناس على قدر حالهم، محدودون وأفقهم ضيق أن يروا الباطل.

قال: "ثم هذا القول إذا تدبره الإنسان وجده في غاية الجهالة، بل في غاية الضلالة، كيف يكون هؤلاء المتأخرون لا سيما والإشارة بالخلف إلى ضرب من المتكلمين -يعني من الذين علمهم بعلم الكلام والفلسفة أكثر من علمهم بالشريعة-، الذين كثر في باب الدين اضطرابهم وغلظ عن معرفة الله حجابهم، وأخبر الواقف على نهاية إقدامهم بما انتهى إليه من مرامهم".

انظر لكلام من تبحر في علم الكلام وأعرض عن الكتاب والسنة وفهم السلف الصالح، حيث يقول -وهذا منسوب للشهرستاني- قال:

لعمري لقد طفت المعاهد كلها ... وسيرت طرفي بين تلك المعالم

فلم أر إلا واضعا كف حائر ... على ذقن أو قارعا سن نادم

انظر إلى ماذا يقول! أنا طفت كل المعاهد وقرأت كل المذاهب التي هي بعيدة عن الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة، فماذا حدث؟ ولم أجد إلا الحيرة والضلال، والنادم واضعًا كف حائر: أي أحدهم واضعُ يده على خده، أو على ذقن أو قارعًا سن نادمٍ.

- في الحقيقة هو يتحسر على ما فاته من عمره بعيدًا عن كتاب الله وسنة رسوله بفهم الصحابة والتابعين وتابعيهم.

قال: "وأقروا على أنفسهم بما قالوه، متمثلين به أو منشئين له، فيما صنفوه من كتبهم كقول بعض رؤسائهم -وهو الفخر الرازي-".

- فتلك الأبيات تقْطر حسرة، تقطر ألمًا على ما فات من نصيبه من العلم بالله وبأمر الله.

قال: "نهاية إقدام العقول عقال".

العقال: أي الحجب يعني الربط، بأن إقدام العقول وجرأتها على الأمور الغيبية بدون بينات من الله تبارك وتعالى، وجرأتها على استحضار وتخيل الكيفية بهذه الطريقة، مما يؤدي إلى تعطيلها زعمًا للتنزيه.

أي أنه مثلًا سينفي الكلام، ويقول كلام الله مخلوق -زعمًا أنه يريد أن ينزه الله أن يكون له جارحة يخرج بها الكلام.

وكذلك الماتريدي أو الأشعري الذي يقول: إن كلام الله كلام نفسي – أي في نفسه لم يسمعه جبريل-، ومن ثم لم يكن لم يقرأه جبريل على النبي ﷺ أو أوحاه إلى جبريل، ثم قرأه على النبي ﷺ، فهذا الكلام إما لفظ جبريل، أو لفظ النبي.

فهو عبارة عن كلام الله، هو ليس كلام الله.

هذا هو المعنى: أن تلك الآيات هي كلام الله، ولكن الألفاظ هي عبارة عن كلام الله وهي تعبير عنه.

تعبير من؟

- إما جبريل، أو محمد ﷺ.

فالاثنان مخلوقان، يعني أن هذا كلام مخلوق، هذا كلام ناشئ من مخلوق.

ففي الحقيقة بتأويله أن الكلام نفسه هو يؤدي باللوازم إلى أنه كلام ليس كلام الله، وإنما هو كلام مخلوق.

- ونحن نقول: أن القرآن كلام الله غير مخلوق.

ولكن ما الذي أوصله لتلك الحالة؟

جرأته على الكيفية.

فنقول لك: فوض الكيف إلى الله، وأثبت المعنى اللائق بالله تبارك وتعالى.

فإقدام العقول هذا أدى إلى عقالها، أدى إلى ربطها، أدى إلى عجزها، أدى إلى تأخرها، أدى إلى وقوعها في الشبهات والتخبط والحيرة.

- فنهاية إقدام العقول عقال، وأكثر سعي العالمين ضلال.

- قال تعالى: {قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا * الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا * أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا} [الكهف:١٠٣-١٠٥].

تخيل أنهم كفروا بآيات ربهم ولقائه؛ فحبطت أعمالهم، وهم لم يكونوا كافرين، وكانت لهم أعمال مقبولة!

فالإنسان من الممكن أن يكون ماشيًا في الطريق، ولكن كثرة جرأته، وكثرة إقدامه في غير موطن الإقدام قد يصل به إلى أنه يسيء ويظن أنه يحسن صنعًا.

وهذا أقرب ما يكون إلى أهل البدع العقدية والعملية؛ فيؤدي به إلى هذه البدع طبعًا، والبدع أشد وأوسع طريق إلى الكفر بالله تبارك وتعالى، وإلى وقوع الشبهات في القلب والشك والريب، والتذبذب والتردد والنفاق الاعتقادي؛ فيصل به إلى النفاق الذي به يبطل ويحبط العمل.

- {وَمَن يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ} [المائدة:٥].

- يا رب عافنا يا رب!

قال: "وأرواحنا في وحشة من جسومنا ".

انظر! توجد وحشة من جسومنا فلا يطيق نفسه، لا يطيق نفسه من كثرة العصيان، من كثرة الإعراض، من كثرة الحرمان، فالقرآن والسنة نور، وفهم السلف نور. فهو حارم لنفسه من هذه الأنوار.

- {ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ} علم الكلام والفلسفة والمنطق {إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا ۗ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ} [النور:٤٠].

قال: "وأرواحنا في وحشة من جسومنا، وغاية دنيانا أذى ووبال".

تخيل حين يكون الوعي والعلم -الذي هو سبب السعادة- سبب شقاء الإنسان بسبب تلقيه من غير المشكاة التي أمر الوحي أن تأخذ منها: "ما أَنا علَيهِ وأَصحابي" [صحيح الترمذي].
ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا سوى أن جمعنا فيه قيل وقال، وكثرة الأقوال فقط والرد عليها.

- فوالله تلك أبيات في منتهى الحسرة والله العظيم!
  هي تنسب إلى "الرازي"، ولكن حاصل هذا الكلام ورد أيضًا عن الجويني، والغزالي، والرازي مع أنهم أكثر الناس الذين نشروا هذا المفهم.

قال-وهذا من كلام الجويني-: "لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية، فما رأيتها تشفي عليلًا ولا تروي غليلًا، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن".

- ياه! أخيرًا، ولكنه متأخر.

" اقرأ في الإثبات: { الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ} [طه:٥]، { إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ} [فاطر:١٠]، واقرأ في النفي: { لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ} [الشورى:١١]، { وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا} [طه:١١٠]".

- فالنفي لا يتعارض مع الإثبات.

النفي -والذي هو نفي الشبيه والمثل- نسميها الصفة السلبية.

- { لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} [الشورى:١١].
- {وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ} [الإخلاص:٤].
- {هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا} [مريم:٦٥].

- لا عدل له، لا ند له

هي صفة سلبية، ولكن لا بد أن تكون في سياق إثبات لكي تكون كمالًا، لا بد أن تكون في سياق الإثبات.

- فالنفي المحض ليس كمالًا، وإنما النفي في سياق الإثبات يكون كمالًا

إذًا: {لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ} [البقرة:٢٥٥] هذا نفي، لزم أن يكون في سياق إثبات صفة الحياة.
{لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ} [الشورى:١١]: هذا نفي حتى يكون كمال في سياق إثبات التنزيه.
إذًا التنزيه الذي فيه {ليس كمثله شيء} لا يتعارض مع إثبات السمع والبصر لله تبارك وتعالى.

- قال تعالى: {وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا} [طه:١١٠].

"ومن جرب مثل تجربتي، عرف مثل معرفتي"هذا مشهور عن الجويني كما ذكرنا.
" ويقول الآخر منهم: لقد خضت البحر الخضم، وتركت أهل الإسلام وعلومهم، وخضت في الذي نهوني عنه، والآن إن لم يتداركني ربي برحمته فالويل لفلان" أيضًا هذا ورد عن الجويني.

قال: " والآن إن لم يتداركني ربي برحمته فالويل لفلان، وها أنا أموت على عقيدة أمي" أي التي ليست فيها شبهات المتكلمين.

قال: "ويقول الآخر منهم: أكثر الناس شكًا عند الموت أصحاب الكلام".

- نسأل الله العفو والعافية.

قال تعالى: {وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُواْ فِى شَكٍّ مُّرِيبٍ} [سبأ: ٥٤].
منسوب هذا الكلام إلى الغزالي: " ثم هؤلاء المتكلمون المخالفون للسلف إذا حقق عليهم الأمر، لم يوجد عندهم من حقيقة العلم بالله وخالص المعرفة به خبر، ولم يقعوا من ذلك على عين ولا أثر، كيف يكون هؤلاء المحجوبون المفضولون المنقوصون المسبوقون الحيارى المتهوكون"

- التهوك من الحيرة والتردد، والاضطراب.

"كيف يكون هؤلاء أعلم بالله وأسمائه وصفاته، وأحكم في باب ذاته وآياته من السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار؟!

والذين اتبعوهم بإحسان من ورثة الأنبياء وخلفاء الرسل، وأعلام الهدى ومصابيح الدجى، الذين بهم قام الكتاب وبه قاموا".

- سبحان الله! انتشر بهم القرآن وقام بهم حكم القرآن في العالم.
- وبه قاموا أي: طبقوه عليكم بالسنة "وسنةِ الخلفاءِ المهديّين الراشدين تمسّكوا بها، وعَضّوا عليها بالنواجذِ" [صحيح أبي داود].
- "أصحابي كالنجوم، فبأيما اقتديتم اهتديتم".
- "أَنَا أَمَنَةٌ لأَصْحَابِي، فَإِذَا ذَهَبْتُ أَتَى أَصْحَابِي ما يُوعَدُونَ، وَأَصْحَابِي أَمَنَةٌ لِأُمَّتِي، فَإِذَا ذَهَبَ أَصْحَابِي أَتَى أُمَّتِي ما يُوعَدُونَ" [صحيح مسلم].
- "لا تَسُبُّوا أصْحابِي؛ فلوْ أنَّ أحَدَكُمْ أنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا، ما بَلَغَ مُدَّ أحَدِهِمْ ولا نَصِيفَهُ" [صحيح البخاري].

قال: "الذين بهم قام الكتاب وبه قاموا، وبهم نطق الكتاب" أي: سمع الناس الكتاب بتلاوتهم، فمعناه انتشر، سمع الناس عنه بنطقهم وتلاوتهم.

قال: "وبه نطقوا، الذين وهبهم الله من العلم والحكمة ما برزوا به على سائر أتباع الأنبياء".

- أفضل أتباع النبي هم الصحابة رضوان الله عليهم.

"فضلا عن سائر الأمم الذين لا كتاب لهم".

- لا سيما لأنهم في الحقيقة -حتى اليهود والنصارى- استحفظوا على الكتب فضيعوها وحرفوها.

قال: "وأحاطوا من حقائق المعارف وبواطن الحقائق بما لو جمعت حكمة غيرهم إليها لاستحيا من يطلب المقابلة".

لا مقارنة في الحقيقة بين العلم الذي عند الصحابة، وبين من دونهم من أتباع الأنبياء أو الأمم السالفة الذين انتشر فيهم التبديل والتحريف والتضييع.

قال: "ثم كيف يكون خير قرون الأمة أنقص في العلم والحكمة -لا سيما العلم بالله وأحكام أسمائه وآياته- من هؤلاء الأصاغر بالنسبة إليهم؟! أم كيف يكون أفراخ -أولادهم وورثتهم- المتفلسفة وأتباع الهند واليونان، وورثة المجوس والمشركين وضلال اليهود والنصارى والصابئين وأشكالهم وأشباههم؛ أعلم بالله من ورثة الأنبياء وأهل القرآن والإيمان؟!".

- هذه نقطة مهمة جدًا نستدل بها على حجية مذهب السلف.

طريقة شيخ الإسلام هذه في إثبات حجية مذهب السلف، وأن حتى هذا الأمر في أمر العقائد، وكذلك في أمر العمل والسلوك والعبادات، فتركهم لشيء مع وجود مقتضى التعبد وزوال المانع من ذلك أن يفعلوه، وتركهم لذلك كالمولد النبوي والبدع العملية دليل على البدعية لا شك؛ لأنه لو كان خيرًا لسبقونا إليه .

قال: "وإنما قدمت هذه المقدمة؛ لأن من استقرت هذه المقدمة عنده عرف طريق الهدى أين هو في هذا الباب وغيره، وعلم أن الضلال والتهوك إنما استولى على كثير من المتأخرين بنبذهم كتاب الله وراء ظهورهم، وإعراضهم عما بعث الله به محمدًا ﷺ من البينات والهدى، وتركهم البحث عن طريقة السابقين والتابعين، والتماسهم علم معرفة الله ممن لم يعرف الله بإقراره على نفسه، وبشهادة الأمة على ذلك وبدلالات كثيرة، وليس غرضي واحدًا معينًا، وإنما أصف نوع هؤلاء، ونوع هؤلاء".

- نوع هؤلاء: وهم السلف.
- ونوع هؤلاء: الخلف.

فلا تلتمس معرفة الله من علم الفلاسفة، أو علم من سبقهم من أهل الكلام، وتترك خيارالأمة وأفاضلها من الصحابة والتابعين ومن بعدهم وهم الأئمة المهديون.

هذه المقدمة مقدمة جليلة جدًا، وعظيمة جدًا!

كيف يمكن أن يكون الرسول قد علم الناس كل شيء حتى القراءة، ثم ترك أعظم مقصود لم يبينه لهم، أو يبينه بكلام لا يفهم منه الفهم الصحيح، أو يحتاج إلى الألغاز أو الأحاجي ليفهم؟! فهذا كله مستحيل لا يمكن أن يقع، فهذه الأمور بينات للصحابة -أي أمور الاعتقاد، وأسماء الله وصفاته-، وقد نقلوها؛ لأنهم أفضل هذه الأمة كما ذكرنا.

قال: " وإذا كان كذلك: فهذا كتاب الله من أوله إلى آخره، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم من أولها إلى آخرها، ثم عامة كلام الصحابة والتابعين، ثم كلام سائر الأئمة مملوء بما هو إما نص وإما ظاهر في أن الله سبحانه فوق كل شيء، وعليّ على كل شيء، وأنه فوق العرش، وأنه فوق السماء".

**سنبدأ في إيراد الآيات والأحاديث في قضية ومسألة العلو بالتفصيل بإذن الله تبارك وتعالى المرة القادمة.

❖ بهذا نكون قد انتهينا من المقدمة، وبدأنا في صلب الفتوى الحموية.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم

سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك